

## • خالد زغریت / سر إنشاء جائزة باسم هاني الراهب

رغم صولات د. طالب عمران وجولاته في تفسير الظواهر الطبيعية الخارقة فإنني كنت دائماً أفهم رواياته على أنها حيلة فنيّة لتشويق المتابع وجذبه إلى التحليق في الخيال العلمي. غير أنّ ما حدث معي ليلة دفن هاني الراهب صعقني وجعلني أكذب نفسي طويلاً كي لا يشتم بي د. طالب عمران. ولو لم تفضحني زوجتي لأنها حضرت المشهد الغريب لكنت دُبجت هذه الحكاية وامتطيت الحبر إلى فتوحات إبداعية غير مسبوقه في الخيال العلمي. وسأروي لكم الحكاية، وقد لا تصدقونني، ولكن عندما يشفطها د. طالب عمران وتكافئه «نوبل» على تفسيره الخارق لهذه الظاهرة فسوف تطقون إفحاماً وتفحيماً.

بعد أن عدت من المقبرة مغبراً بالحزن والإرهاق من عناء اليوم الطويل في دفن هاني الراهب دخلت منزلي متجهاً نحو المغسلة لتنظيف يديّ وجهني مما علّق بهما من تراب قبر المرحوم. وتلقنتني زوجتي المسكينة بالمنشفة والتعزية المغلفة بسخرية من الأدب والأدباء. فتحت الحنفية لأغسل يديّ، فانزلق عنهما الماء كأنه نزل عن ألسن مصقول. صعقني المشهد: فقد تحول التراب الناشف على أصابعي إلى ذهب لاهب الاصفرار. خمنت أن رؤيتي الإبداعية تغلبت على رؤيتي العينية، لكن صرخة زوجتي التي طاش صوابها - «انظر، أصابعك مليسة بالذهب» - خرقت مخيلتي. وبعد تبادلنا انفجار الفم والعيون تداقشنا إلى غرفتنا، وانتهينا إلى كتمان سرّ هذا السحر الواعد بالنعم. وعدنا مرة أخرى إلى المغسلة لنجرب إن كانت الكرة ستعاد، وفعلاً تكررت سبع مرات كان الذهب يرق مرة بعد أخرى إلى أن انتهى، وكانت حصيلة الذهب ما يعادل الأوقية.

تناطحنا الأفكار والأسئلة، وانتهينا إلى أن صاحب القبر الذي علّق على أصابعي ترائبه لا بد أن يكون مشروع قديس ولترايه كرامة. وإذا بجرس الباب يقرع. وارئنا كرتنا بجرص، وخرجت لأستطلع الضيف الثقيل. وكل ما أذكره أنني فتحت الباب. ففتحت عيني على وخز الماء والقرص والكولونيا والولولة ونعرة نزقة ذكرتني بنعرات هاني الراهب الموجهة. أدت بصري وإذا زوجتي تنتف شعرها، وإلى جانبها رجل أشعث أغبر ذو لحية نصفية. بلى، هو هاني الراهب، وكيف لي أن أضيعه؟ ويبدو أنني خبلت، فأيقظني هاني الراهب بخشونته وقال: «ما وقت تمثيل، أنا شبح هاني الراهب، جئت إليك لأن ما الذكرى إلا للجرح الأول. وأنت عندما كنت غراً برعونتك شجبت ذاكرته أثناء محاضرته في اتحاد الكتاب العرب حين وقفت ظاناً نفسك عميد الفهم العربي تناطح روايته الوباء، فتقب قرئك ذاكرته، وهو لا يذكر إلاك. لذلك أرسلني إليك وقال قل لخالد: هاني بطل الموت.» سألته كيف ولماذا؟ وبينني وبينكم لم أكن أفكر إلا أنه طمع بالذهب وأنه سيخرج ليلطشه متي. قال لي:

«لم يكن هاني الراهب يخبّن أن له هذه الأهمية بعد أن بار الأدب والأدباء. لقد فجعه حزن الأمة وراعيتها، رعاتها بالأخص الذين تهافتوا على قبره بيبكونه وأدبه. لقد هزت دموعهم موته فأعادت الروح إليه. أنت، يا غشيم، لا تعرف عظمة دموع المسؤولين. فما دامت للاديب كل هذه المكانة، وقد اعترفوا بعد موته بدوره وتابوا، فإنه سيعود لينعم بهذا الموقف. لكم تأثر وتلملم في كفته، وهو يرى الجرائد تصدر ملونة صفحائها الأولى بالأسود مقتصرة على عبارة 'الأم تنعى ثروة وطنية'. كما أنك لا تدري كيف عض حجارة الشطايح حتى أذماها وهو يرى الفضائيات العربية تملن الحداد، والمذيعات الموشحات بالسواد ينفرن الدموع، وشوارع المدن العربية تموج بمسيرات الحداد يتقدمها الحرس الوطني رافعين برهبة صورة كبيرة له، والجماهير تحمل بيد كتبه وباليد الأخرى ملقعة. إنها يقظة حضارية عربية تضطره إلى أن يغيّر رأيه ويعود إلى الحياة.»

لن أكمل لكم الحكاية إلى نهايتها لأنني أمسكت بسرّ تحول تراب قبر هاني الراهب ذهباً: فقد امتزج التراب بدموع المسؤولين العظيمة التي، لغلائها وقدسيتها، تحول التراب ذهباً. فهل أنت يا د. طالب عمران في مستوى هذه الشطحة العلمية؟ طق أنت وهاني الراهب. لن أخرجه من القبر كي أتمتع بالذهب. وما إني خدعتك وكتبت القصة التي سندر علي نوبل. كما أنني أمتلك الآن سرّ الثروة: فسوف أذهب إلى سلّات مهملات المسؤولين ألقط المناديل الورقية التي يمسحون بها عيونهم، فأعجنها بالتراب والماء وأحوّلها ذهباً. وعندما أغنى سائشي جائزة باسم هاني الراهب.

دمشق

• كاتب من سوريا.